Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغاية السلوك المحبة التي هي لباب البرنامج الذي يقترحه ابن الخطيب، لأن المحبة «مادة عاجلة يستدفع بها كل مكروهٍ مظنونٍ ويستسهل كل موقف صعب»[18]، فإذا ما أحب الله يحبه الله، وحينئذ يصدق عليه ما يروى: «فإذا أحببته كنت سمعه (. . .) وبصره (. . .) ويده»، ولباب اللباب هو المعرفة، ومن باب المعرفة: «يشرع إلى حضرة الفتاح العليم»[19] وثمرة ذلك كله الولاية، وهي أن يتولى الله الواصل إلى حضرة قدسه بكثير مما تولى به النبي من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف، فالولي يشارك النبي في أمور كثيرة؛ منها العلم من غير طريق العلم الكَسْبِيّ، **والفعل بمجرد الهمة فيما لم تجر العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم.**

من خلال هذا البرنامج يرى القارىء أن ابن الخطيب سعى إلى تكوين إنسان متصوف، و«التصوف علم التخلق، وهو مكارم الأخلاق»[20]، وإلى تكوين الإنسان الكامل الذي هو نسخة ومثال وظل من العالم الكلي العلوي. وهذا البرنامج ليس غير عادي، فجله مطلوب من الإنسان المسلم العادي؛ لذلك يمكن الزعم أنه برنامج المجتمع الأندلسي المسلم، فصلبه هو القيام بأركان الإسلام والعبادة والتوبة والإلمام بنبذ من الثقافة العربية الإسلامية، وتجنب الطوائف المبتدعة من فلاسفة وباطنية ومعتزلة ومتصوفة متفلسفين من أتباع الشوذي ومتصوفة شعيبين.

ابن الخطيب حينما اقترح هذا البرنامج لم يكن يهدف إلى تكوين أناس منعزلين مترهبين في الصوامع، فهذا ما حاربه هو وجماعة من أصحابه، ولكنه كان يَتَغَيَّا غايات وثمرات من ذلك البرنامج التربوي التعليمي؛ من بينها دفع المكروه والتغلب على المواقف الصعبة وامتلاك قدرات خارقة مثلما امتلكها أصفياء الله وأولياؤه وأنبياؤه. إنه برنامج تكوين رجال المهام الصعبة، رجال الصبر والجلد والرباط والجهاد.

وإذَا ما كان البرنامج موجهاً إلى عموم الأندلس، فإنه ـ لا محالة ـ موجه إلى من يلي أمور المسلمين بصفة مباشرة، موجه إلى الولي بمعنييه: الولي الذي يشارك النبي في أمور كثيرة، والولي الذي يتولى أمر المسلمين. وقد صار الجمع بينهما فرض عين في ظروف الأندلس الصعبة. ومن لم يجمع بينهما لا يستحق أن يكون فرعاً من تلك الشجرة، الشجرة المباركة، شجرة الحياة المقدسة، شجرة البيت النصري الخزرجي

(18) نفس ما ذكر، ص 403، وفي الأصْل «ويُسْتَمْهَلُ».

(19) ابن الخطيب، روضة (ج: 2، ص 413).

(20) ابن الخطيب، روضة، ص 197.